سلسلة عظمة الخالق



لا إله إلا الله

تأليف

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
من علماء الأزهر الشريف

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح
مشرف الطفولة بوزارة الاعلام

تصميم وإخراج فنى : أحمد صابر المرسى

رقم إيداع
١٠٩٤٨ / ٢٠٠٠

I.S.B.N
977- 301 - 079 - 1



الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٤٢ شارع جول جمال - المهندسين
ت : ٣٠٣٦٣٠١

المقدمة

أىْ بُنَىَّ:

حكايةُ التوحيدِ حكايةٌ قديمةٌ .. عميقةٌ ...

حكايةُ التوحيدِ بدأتْ قبل خَلْقِ الإنسانِ ... لأنَّ هذه الحكايةَ بدأتْ مع خَلْقِ هذا الكونِ...

فلقد خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ الكونَ الواسعَ الممتدَّ.. والمُتَكَوِّنَ من سبعِ سماواتٍ، والأرضِ، والنجومِ والكواكبِ ... خلقها اللهُ – تعالى – فى ستةِ أيامٍ، ثم اسْتَوَى على عرشِهِ العظيمِ – سبحانه وتعالى – .

وخلقَ اللهُ الملائكةَ من نورٍ، والجانَّ من نارٍ، والإنسانَ خلقَه من طينٍ ... فأحسنَ اللهُ خَلْقَه...

فما هى حكايةُ التوحيدِ؟... وما هو معنَى التوحيدِ؟

أصدقائِى...

حكايةُ التوحيدِ تُبْرِزُ عظمةَ الإسلامِ ... أسْمَعُ تساؤُلاً: لماذا؟ ...

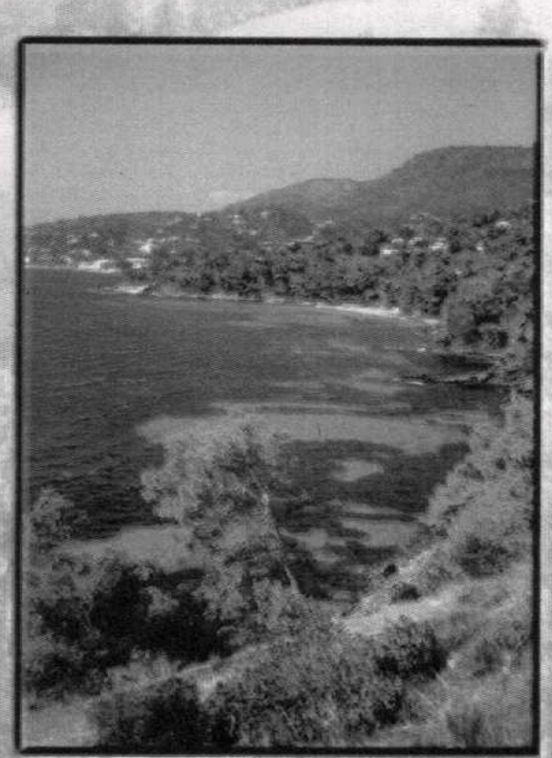
الإجابةُ ببساطةٍ «لأن الإسلامَ دينُ التوحيدِ» ولكنْ ... ما هو التوحيد؟...

ما هو التوحيد

التوحيدُ ... هو ... بِبَساطةٍ ووضوحٍ ... الاعترافُ بوحدانيَّةِ خالقِ هذا الكونِ...

التوحيدُ يعنِى أن اللهَ واحدٌ وهو إِلَهُ هذا الكونِ الواسعِ الذى تسيرُ كلُّ أموره بإِذْنِه وأَوامرِه وقدرتهِ وحدَهُ ... لا يشارِكُه أحدٌ فى حُكْمِ هذا الكونِ...

التوحيدُ هو وحدانيةُ الخالقِ ... لأَنه الإلهُ وهو ربُّ كلِّ شىءٍ الربُّ... الذى تَعبُدُه جميعُ المخلوقاتِ التى خلَقَها اللهُ عزَّ وجلَّ...



فالملائكةُ خُلِقوا لِيَعْبُدوا اللهَ آناءَ الليلِ والنهارِ ... ويُسبِّحون بحمدِه دَوْمًا وأَبَدًا ... وهم بذلك يُوَحِّدون اللهَ عزَّ وجلَّ...

والجانُّ ... بعضُهم



مسلمونَ يَشْهَدونَ بوحدانية اللهِ عزَّ وجلَّ... ويعبدونَه – سبحانَه وتعالى –

وبنو الإنسانِ .. بعضُهم لا يعبدونَ اللهَ الواحدَ الأحدَ .. الفردَ الصمدَ ... ولا يشهدون بواحدنيَّتِهِ.. ولا يقومون بأداءِ المنَاسِكِ التى تدلُّ على هذا التوحيدِ للهِ ربِّ العالمين ...

ولا تَنْدَهِشْ يا صديقِى ... فإنَ النجومَ والطيورَ والجبالَ والأشجارَ والدوابَّ... وكافةَ مخلوقاتِ اللهِ ... كلّها تُسبِّح بحمدِ اللهِ ... وتسجدُ له – سبحانه –.

ولكن ... لانَفْقَهُ ولا نعرفُ - نحنُ البشرَ - طريقةَ عبادَتِها للهِ...

فالعبادةُ لله الواحد الأحد الفردِ الصمدِ الذى لم يَلِدْ ... ولم يولَدْ ... ولم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ ... هذا هو معنَى التوحيدِ...

حكاية التوحيد

ولْنَعُدْ إلى حكايةِ التوحيدِ ... ولماذا لا يكونُ هناك أكثرُ من إلَه فى هذا الكونِ؟

لا إلـهَ إلا اللهُ ... بدأتْ مع خلقِ البشـرِ .. عندما خلقَ اللهُ سيِّدَنا آدمَ عليه السلامُ .. ثم خلقَ من ضِلَعِه أُمَّنا حواءَ ... ثم خلقَ الإنسانَ من نَسْلِهما عليهما السلامُ... بخَلْقِ الإنسانِ بدأتْ تكتملُ مكوناتُ الكونِ ... وبدأتْ تظهَرُ حكايةُ التوحيدِ...

فعندما خلقَ اللهُ سيدَنا آدمَ من طينٍ، رفضَ إبليسُ، الشيطانُ الرجيمُ، تنفيذَ أوامرِ اللهِ عز وجل بالسُّجودِ له...

فكانتْ هذه أولَ مرةٍ ... يرفضُ أحدٌ من خلقِ اللهِ الانْصياعَ لأوامرِه - سبحانَه وتعالَى-.

وتوعَّدَه اللهُ بعقابٍ شديدٍ وعذابٍ أليمٍ ... فطلبَ الشيطانُ من اللهِ عزَّ وجلَّ، أن يُمْهِلَه إلى يومِ القيامةِ ليقومَ بإِغْوَاءِ أصحابِ

النفوسِ الضعيفةِ، ليتحوَّلوا عن عبادةِ اللهِ إلى عبادةِ الشيطانِ... وبذلك يَنْكَشِفُ هؤلاءِ الذين لا يُوَحِّدونَ اللهَ الخالقَ ولا يعبدونَه حقَّ عبادته... فأمْهلَه اللهُ عزَّ وجلَّ ... إلى يومِ القيامةِ... وتوعَّد من لا يُوَحِّدُه، من الشيطانِ وأتباعهِ من البشرِ، بعذابٍ أليمٍ في نارِ جهنَّمَ خالدينَ فيها أبدًا...

وعندَما هبطَ سيدُنا آدمُ وأمُّنا حواءُ إلى الأرضِ، بدأ الشيطانُ ونَسْلُه من الشياطينِ في عمليةِ إغواءِ البشرِ، وكانَ محورُ الغَوَايَةِ هو عبادةُ أشياءَ أخرَى من دونِ اللهِ عز وجلِ، لِيَبْتعدَ الإنسانُ عن خالقِه ... فزيَّنَ الشيطانُ للبشرِ عبادةَ الشمسِ ... والقمرِ ... والنجومِ ... ثم زَيَّنَ لهم الشيطانُ عبادةَ الحجارةِ والأصنامِ والدَّوَابِّ أيضًا .. حتَّى وصلَ البعضُ إلى عبادةِ الملوكِ... والسلاطينِ ... أي يعبدُ البشرُ البشرَ، والعيَاذُ باللهِ..

ولذلك ... أرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الرُسلَ والأنبياءَ برسالةِ التوحيدِ.. ليُوَجِّهُوا البشرَ ويُرشدوهم إلى عبادتِه وحدَه .. لا شريكَ له، حتى لا يكونَ للناسِ حُجَّةٌ عندَ اللهِ بعدَ ذلك... وكان آخرَ الأنبياءِ والرسلِ سيدُنا محمدٌ ﷺ الذى جاء بالإسلامِ

دينِ التوحيدِ للبشرِ كافةً...

قصةٌ تؤكدُ ضرورةَ الوحدانيةِ

ونعودُ إلى حكايةِ التوحيدِ ... ولماذا لا يكونُ هناكَ إلَهانِ أو أكثرُ..؟...

فنحنُ – البشرَ– عندما نريدُ أن نعملَ عملاً كبيرا مُنْتِجًا جميلاً... نتعاونُ جميعًا... وكلُّ فردٍ يعملُ جانبًا منه.. حتَّى يخرجَ هذا العملُ فى إتقانٍ شديدٍ...



ولكن الألوهيةَ تختلفُ.. لأنه لو كانَ هناكَ إلَهانِ لَفَسَدَت الأرضُ ولاختلفَ كلُّ إلهٍ عن الآخرِ... هذا يريدُ العفوَ.. والآخرُ يريدُ العقابَ.. هذا يريدُ هذا النهارَ وذاك يريد الليل... كلٌّ منهما يريدُ أن تَعْبُدَه الخلقُ من دونِ الآخرِ...

تناقضٌ لا يقبَلُه العقلُ... ولا يمكنُ أن يسيرَ الكونُ بهما معًا... فلابدَّ أن يحدُثَ صِدَامٌ وصراعٌ.. وبالتالى تكونُ النتيجةُ تدميرَ الكونِ...

ولْنَرَ حكايةً تدلُّ على ضرورةِ الحكمِ بواحدٍ فقط... ضرورةِ التوحيدِ والوحدانيةِ فى الحكمِ...

فهل سمعتَ يا صديقى عن رئيسَيْنِ لجمهوريةٍ واحدةٍ فى وقتٍ واحدٍ؟... وهل سمعتَ عن ملَكَيْنِ لمدينةٍ أو لدولةٍ واحدةٍ فى وقتٍ واحدٍ؟... طبعًا ... هذا مستحيلٌ ... ولكنَّه حدَثَ!!

نعم.. حدثَ ذلكَ... كانتْ هناكَ مدينَتَانِ كبيرتانِ فى التاريخِ القديمِ... مدينةُ «أثينَا» ومدينةُ «إِسْبَرْطَةَ» وكانتْ هاتانِ المدينتانِ تُشَكِّلانِ مَدَنِيَّةَ وحضارةَ بلادِ اليونانِ أو الأغريقِ التى نسمعُ عنها.

ولكنْ... كانَ لمدينةِ «أثينا» حاكمٌ واحدٌ وملكٌ واحدٌ فاستمرَّتْ حضارةُ هذه المدينةِ واستمرَّتْ هذه المدينةُ نَفْسُها حتَّى الآنَ...

أما المدينةُ الأُخرَى «إسبرطةُ» فتحَدَّتْ التاريخَ وتَحَدَّتْ الحضارةَ ... وتحدتْ الفِطْرَةَ ... وتحدتْ الجميعَ... وقرَّرتْ هذه

المدينةُ أنْ يحكُمَها ملِكَانِ معًا... نعَم ... يحكمُها ملكانِ فى آنٍ واحدٍ... وبالفعل .. تولَّى ملِكَان حكمَ البلدِ...

فظلَّت المدينةُ تهبِطُ فى الحضارةِ إلى الحضيضِ .. ومن سيِّيءٍ إلى أسوَأَ ... وتنحدرُ من الأسوإِ إلى الأسوإِ ذلك لأنَّ كلَّ حاكمٍ ... وكلَّ ملكٍ .. يحكُمُ على هوَاهُ... فإذا أصدَرَ ملكٌ قرارًا، أصدرَ الملكُ الآخَرُ قرارًا مُضَادًّا...

تضارَبت القراراتُ وتضَارَبَتْ الآراءُ وساءَتْ الأحوالُ... حتى جاءَ جيشُ الأعداءِ ... ليُهَاجِمَ المدينةَ... فأصدرَ الملِكُ الأولُ قرارَه بالاستعدادِ لمقاومةِ العدوِّ ومحاربتِهِ...



فماذا فعلَ الملكُ الثانى؟ قررَّ الاستسلامَ للعدوِّ!!!

فتشابَكتْ قواتُ الملكِ الأولِ مع قواتِ الملكِ الثانى، وسقطَ القَتْلَى والجرحَى من أبناءِ مدينةِ إسْبَرْطَةَ ... وظلَّت المعاركُ مستمرةً حتى تحطَّمَتْ القوَّتَانِ ... ودخلتْ قواتُ الأعداءِ إلى المدينةِ لتُحْكِمَ سيْطَرَتَها وتحتلَّ المدينةَ ولتحطِّمَ حضارَتَها إلى الأبدِ... ولِتُصْبِحَ مدينةُ إسبرطهَ مُجَرَّدَ ذكرَى وضحيَّةَ تجربةِ ملَكَينِ يحكمانِ فى وقتٍ واحدٍ...

صديقِى... هذا حدثَ فى مدينةٍ واحدةٍ صغيرةٍ محدودةِ المساحةِ والسُّكَّانِ...

فما بَالُنا بِالكَوْنِ الواسعِ الممتَدِّ ... الذى يشملُ السَّمَوَاتِ السبعَ والأرضَ والقمرَ والشمسَ والنجومَ وكافةَ مخلوقاتِ اللهِ من الحيواناتِ والنباتِ والحشراتِ والإنسانِ...

حقًّا... لو كانَ هناكَ إلَهَانِ لفسدَ هذا الكونُ... ولذلك رَدَّدَ القدماءُ «المركبُ اللى فيها رئيسين بتغْرَق».

أَصدقائِى... وطوالَ التاريخِ الطويلِ للبشريةِ، كان هناكَ دعواتٌ للرُّسلِ والأنبياءِ بالتوحيدِ... فأَرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الأنبياءَ

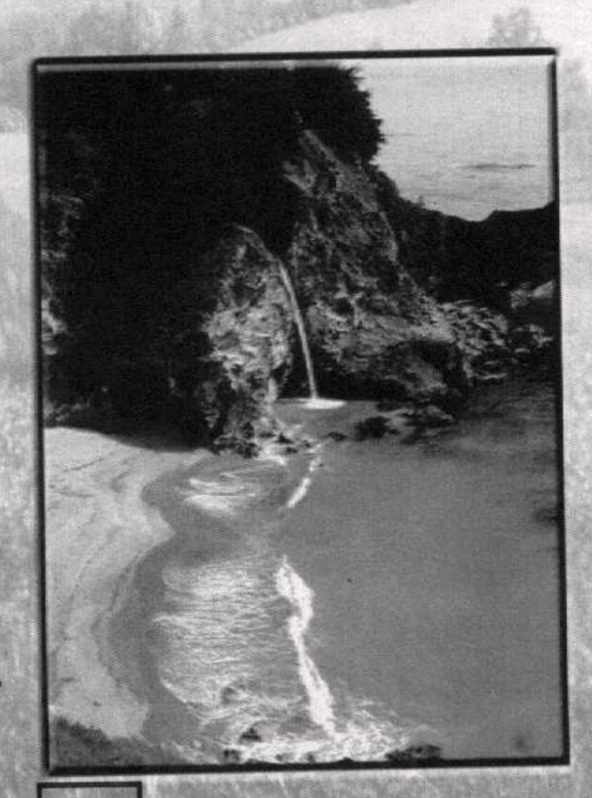
والرسلَ حتى جاءَ خاتَمُ الأنبياءِ والمرسَلينَ سيِّدُنا محمدٌ ﷺ ... كلُّهم دَعَوْا إلى وحدانيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ...

قصةُ التوحيدِ بمصرَ

ولكن الشيطانَ استطاعَ إغْوَاءُ الناسِ لعبادةِ آخرينَ مع اللهِ عزَّ وجلَّ...

فماذا فعلَ اللهُ بأَتْباعِ الشيطانِ الذين ابْتَعَدُوا عن التوحيدِ؟!

لقد دمَّرَ اللهُ أَتْباعَ الشيطانِ ... لأن اللهَ لايغفرُ أنْ يُشركَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك من الذُّنُوبِ...



ولذلك أرسلَ اللهُ عذابَه في الدُّنيا لقومِ نوحٍ غيرِ الموحِّدِين اللهَ فَغَمَرَهم الطوفانُ وأغرقَهم جميعًا... وأرسلَ اللهُ

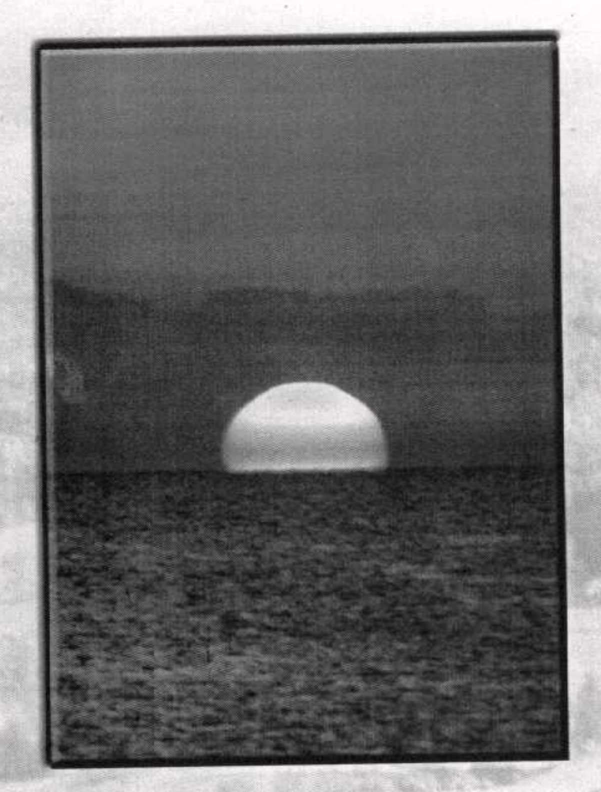


عذابَه فدَمَّرَ قومَ صالحٍ وقومَ لوطٍ وقومَ هودٍ... وغيرَهُمْ بعذابٍ أليمٍ في الدنيا، وفي الآخرةِ عذابُ جهنمَ وبئسَ المصيرُ...

ومعَ ذلكَ ... فلقد كانَ هناكَ دَعَوَاتٌ للتوحيدِ... ففي مصرَ... مثلا ... وفي عصرِ الفراعنةِ القدماءِ، كان شعبُ مصرَ صاحبَ أعْرَقِ حضارةٍ عَرفها التاريخُ، كان هذا الشعبُ يعبدُ آلهةً كثيرةً... إلهَ السحابِ ... إلهَ الحبِّ... إله النيلِ ... إلهَ الهواءِ والرياحِ... إله الجمالِ... إلهَ الشمسِ... إلهَ القمرِ... إلهَ الليلِ... إلهَ المطرِ... عشراتٌ من الآلهةِ... وجاء رجلٌ رشيدٌ منهم هو «إخناتونُ» ملكُ مصرَ... فرأى تعدُّدَ الآلهةِ ... فتعجَّبَ من ذلك؟... ودَعَا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ هو اللهُ خالقُ هذا الكونِ... وأعلنَ أن جميعَ الآلهةِ التى يعبُدُها المصريُّونَ مجرَّدُ ملائكةٍ للهِ الواحدِ... مُسَخَّرين لتنفيذِ أوامرِه – سبحانَه وتعالى - في

نطاقٍ محددٍ ومجالٍ معَيَّنٍ...

ويجبُ عبادةُ اللهِ الواحدِ الأحدِ خالقِ الكونِ الواسعِ الرَّحْبِ... ورغمَ ذلك، فلقدْ ماتَ الملكُ، وظلَّتْ دعواهُ قويَّةً للتوحيدِ... ثم تخلَّى الناسُ عنها...



حتَّى جاءَ الإسلامُ بالوحدانيةِ الخالصةِ للهِ الواحدِ الأحدِ... الفردِ الصمدِ... الذى لم يَلِدْ ولم يُولَدْ.. وليس له صاحبةٌ ولا وَلَدٌ... ولا يموتُ... ولم يكن له كُفُواً أحدُ... جاء الإسلامُ... ليُحَطِّمَ جميعَ الدعواتِ التى انحرفتْ عن مسارِ عبادةِ اللهِ وتَوْحيدِهِ...

وحطَّمَ الإسلامُ دعوَى الشركِ باللهَ ودعا إلى أنَّ اللهَ واحدٌ أَحدٌ لاشريكَ له... وأنهَى الإسلامُ عبادةَ جميعِ البشرِ...

وأنهىَ الإسلامُ عبادةَ الشمسِ والقمرِ والنجومِ والكواكبِ ودَعا إلى عبادةِ خالقِها الواحدِ الأحدِ... وحطَّمَ الإسلامُ عبادةَ الأصنامِ ... لأنها من حجرٍ وليستْ بإله ولا يمكنُ أن تكونَ كذلك لأنَّ الصِّلَةَ بين العبدِ وربِّه صلةٌ مفتوحةٌ ولا تحتاجُ إلَى واسطةٍ.. ولأنَّ اللهَ لا يغفِرُ أَن يُشركَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاءُ.

نعَمْ... جاء الإسلامُ ليُحَطِّم كلَّ شيءٍ يخالفُ وحدانيةَ الله ويدعو إلى عبادةِ غيرِ اللهِ، وبَقِيَ شيءٌ واحدٌ، أَن الإسلامَ دينُ التوحيدِ...

وأنَّ الدخولَ إلى الإسلامِ يتمُّ بالشهادةِ وهي تَعْنِي الإقرارَ بالتوحيدِ: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ»...

وأنَّ الشهادةَ هي أساسُ الإسلامِ وجوهَرُهُ وهي دعوةٌ وإقرارٌ بالتوحيدِ... وأنَّ الإسلامَ دينُ الوحدانيةِ الكاملةِ والخالصةِ للهِ عزَّ وجلَّ...

وأنَّ الإسلامَ دينُ الكونِ كلِّه منذُ خلْقِ آدمَ وحتَّى قِيامِ الساعةِ...



ومن هنا تنْبُعُ عظمـــةُ الإسلامِ...

والخطوةُ الأُولَى لعظمة الإسلامِ هى التوحيدُ الخالصُ للهِ عزَّ وجلَّ إلهِ الكونِ وخالقِ كلِّ شيءٍ والمعبودِ بحقٍّ والذى بيدِهِ الأمرُ كلُّه وملكوتُ كل شيءٍ ... والذى يعبُدُه كلُّ شيءٍ في هذا الكونِ من بشرٍ وطيرٍ وحيوانٍ ونباتٍ وجبالٍ أيضًا...

وحقًّا ... فلا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ هى جوهرُ عظمةِ الإسلامِ... وصدقَ اللهُ العظيمُ، فى قرآنِهِ الكريمِ، إذْ يقولُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِي وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن
رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧) «سورة الأنبياء».

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً
لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا
وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾ (٣) «سورة الفرقان».

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴾ (٩١) «سورة المؤمنون».

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ
فَارْهَبُونِ ﴾ (٥١) «سورة النحل».

فاعلم يا بُنَيَّ أنه لا إله إلا اللهُ

«وصدقَ اللهُ العظيمُ»